السفر الأسنى
في
الرابطة الحسنى

السفر الأسنى
في
الرابطة الحسنى

صنفه

العلامة المرشد الكبير الشيخ

حسن حلمي القحي النقشبندي الشاذلي الداغستاني

المتوفى سنة ١٣٥٦ هـ

حققه وعنونه وعلق عليه

عبد الجليل العطا

"البكري"

ومعه

الرسالة الخالدية في الرابطة النقشبندية

لذي الجناحين: مولانا خالد النقشبندي السليماني

حققهما وعلق عليهما

عبد الجليل العطا

البكري

دار النعمان للعلوم

سلسلات نعمانية
هـ
من كنوز الحقيقة

السفر الأسنى
٥
الرسالة الخالدية

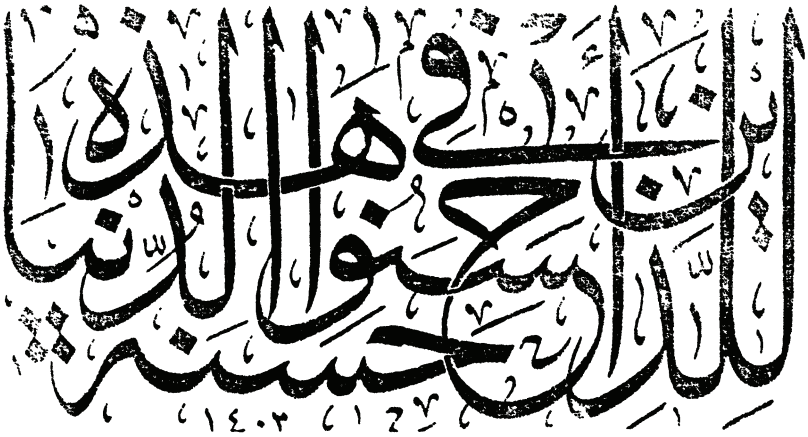
للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة
١٤٠٣

مقدمة الطبع

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحقّ المبين، وأشهد أن سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله الصادقُ الوعد الأمين، المبعوث رحمة وهدى للموقنين، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والمقتدين به، والمتبعين لهديه إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً وفيراً كثيراً.

أما بعد؛ فإن مَن جَهِل شيئاً عاداه كما هو معلوم بين العامَّة، ولكن المنصف العاقل لا يعادي ما يجهل؛ بل يتريَّثُ في الحكم حتَّى يردَهُ البيان، ويتوقَّفُ في اتخاذ موقف مَّا حتى ينجليَ الأمرُ وتستبينَ حقيقته.

وأمر الرابطة عند النقشبندية أمرٌ دقيق؛ لا يكاد يدركه إلاَّ مَن غاص في مداركه، أو محَّص في دقائق مآخذه. لذا كثر الاعتراض على أصحابها ووقع فيهم مَن لم يدرك مراميَهم.

وقد انبرى أعلام ممن تبنَّوا قضيَّة الرابطة، فدافعوا عنها ووضَّحوا أمرها بجلاء ووضوح، وجمعوا من أقوال ثقاة أهل العلم ما أقام له موقفَ الدِّفاع عنها، والتمسُّك بمواقفهم التي تبنَّوها.

ولعل من أجلِّ ما كُتب عنها هذا «السِّفرُ الأسنى» الذي جمع فيه مؤلِّفه الشيخُ المرشد حسن حلمي القحي ما اعتقد أن فيه كفايةً وبُلغةً، وقال في ختامه: هذا ما تيسَّر لنا جمعُه ووفَّقَنا الله لنقله، فمن لم يرضَ بهذا القَدْر فعليه الرجوع إلى المطولات.

هذا؛ وقد اعتمدنا في طباعة هذا الكتاب على نسخة مصوَّرة عن نسخة خطيَّة لعلها نسخةُ المؤلف!! ـ انظر نماذجها ص ٧ـ٨ ـ وهي في ثمان وثلاثين ومئة صفحة من الحجم المألوف (١٧,٥ x ٢٤,٥) سم ومكتوبة بخط معتاد؛ في كل صفحة منها حوالي عشرين سطراً، وفي كل سطر حوالي عشر كلمات. وقد أُرِّخ الفراغ من تأليفها في يوم الإثنين: الثاني عشر من شعبان سنة: إحدى وأربعين وثلاث مئة وألف.

ولعل من الطرائف أن تطبع في مثل اليوم الذي فرغ من تأليفها فيه !! وقد عارضنا هذه المطبوعة على الأصل بعد نسخها، ثم خرَّجنا أحاديثها مع عزو آياتها إلى مواضعها من المصحف، إضافة إلى رقمها وضبطها وبعض الضروريَّات من التعليق.

وقد شاء الله تعالى أن نقدِّم بين يدي هذا الكتاب ترجمة موسَّعة ومسهبة لمؤلِّفها طالما كُنَّا قد وعدنا بها حتَّى هيَّأها الله تعالى ـ انظر ص٩؛بين يدي الترجمة؛فما بعد ـ.

ثم استكمالاً للفائدة ألحقنا بهذا الكتاب رسالة أخرى في الموضوع ذاته ـ طالما تعرَّض لذكرها المؤلِّفُ؛ أو للنقل عنها ـ وهي للعلامة المرشد الكبير مولانا خالد النقشبندي، مع ترجمة وافية لمؤلِّفها وجدنا من الخير طبعَها مع هذا الكتاب.

وهكذا نضع بين يدي أنصار الرابطة والمدافعين عنها، وبين يدي الباحثين والمهتمِّين بها مادَّة جديدة تيسِّرُ لهم الاطلاعَ والبحث، ومزيداً من الدراسة والتعمُّق.

سائلين الله تبارك وتعالى أن يوفِّقَنا لما يحبُّه ويرضاه، وأن يربط على قلوبنا ويثبِّت أقدامنا، وأن يلزمنا طريق الهداية والسداد؛ إنَّه أكرم مسؤول، وخيرُ مرجوٍّ ومأمول.

والحمد لله رب العالمين

عبد الجليل العطا البكري

٣

بسم الله الرحمن الرحيم به الحول والقوة

الحمد لله الذي نزل الكتاب ولم يذر رطبا ولا يابسا ولا شيئا مما كان ويكون الا ادخل فيه والصلاة والسلام على محمد الذي نزل اليه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وعلى اله واصحابه الذين اتبعوه باحسان الى يوم الدين **اما بعد** فيقول الفقير حسن القحلي النقشبندي الشاذلي القادري رحمه الله افلا سه أمين قد ورد الينا كوليغذ من طلبة العلم الذي كان في سالف السنين في دائرة طريقتنا والحال انه ينصحنا وينصح سائر المسلمين بما عنده من العلم وان كان ما يعلمه من جملة ما لا يفهمه وهو عندنا باب العلم من المتشبهات فكتب اوله بان زيارة قبور الصالحين مما لا يجوز والزوار مشركون وكتب له نقلا مما قاله ابن القيم تلميذ ابن تيمية في اغاثة اللهفان في بيان مصائد الشيطان مع ان ذلك خلاف النقل والعقل واطبقت علماء الامة من المذاهب الاربعة على رد ذلك القول الظاهر الخطاء واخذ ايضا من ذلك القول ان رابطة اهل التصوف عين ما قاله من انه مشرك بذلك واتى قوله ايضا بانى الجاهل لا رشاد له بان رابطة الصوفية خطأ والحال ان مؤلفه انما قال ذلك لعدم علمه معنى الرابطة في اصطلاحهم ولو علم لما قال ذلك بل كان يقول بحسنها والتحبب بها

وكتب

نموذج الصحيفة الأولى من الأصل

١٣٨

لله واجعل سعينا هذا مشكورا وعملنا مقبولا واجعله سببا لهداية
الخلق الى طريق السداد كما جعلته باعثا لزيادة الحسد والعناد فانك على
ذلك قدير وبالاجابة جدير
فرغ الفقير من تأليفه في يوم الاثنين الثاني عشر من شعبان هذه السنة
١٣٤١ وفقه الله له ولسائله لاتمام المرادات وقضاء الحوائج ابدا

نموذج الصحيفة الأخيرة من الأصل

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الترجمة

سبق أن أصدرتُ للمؤلِّف رحمه الله بضعةَ كُتُب قبل هذا ولم يكن بين يديَّ آنذاك معطياتٌ وثائقيّة كافيةٌ لأقدِّمَ ترجمةً مستفيضة ولائقة بالمؤلف ، ولكني كنت أتصيَّد المعلوماتِ من هنا وهناك ، فقدَّمت عدداً من الكتب ولم يكن لديَّ ما يشفي العليل من ترجمته، وصدَّرتُ هاتيك الكتب : (تنبيه السالكين ، تلخيص المعارف ، البروج المشيدة ، وسائل المريد «المكتوبات») بما وجدتُ من هذا الذي التقطته ، وكنت أَعِد بأن أتوسَّع في كتب أخرى، حتى آن الأوان فعثرت على هذه الترجمة الوافية مخطوطةً غير مطبوعة ، فاخترت هذا الكتاب لأثبتها فيه لأمرين :

الأول : أن الرابطة شيء شخصي تتناسب معه الترجمة الشخصية .

والثاني : أن الكتاب بحجمه اللطيف قابل للتوسُّع في هذه الترجمة بمثل هذا الحجم .

وها أنا ذا أُثبتُ الترجمة بحرفيَّتها كما عثرتُ عليها في مخطوطها بعد أن ضبطتها ونقَّحتها وعنونتُ فِقراتها لسهولة الاستفادة منها وتوجيه الفكر لاستيعاب ما كُتب فيها . فإن كنتُ قد أصبتُ ففضل الله تعالى عليَّ وعلى صاحبها (المترجَم له)، وإن كانت الأخرى ! فهي جِبِلَّة العبد المقصِّر مع ربه عزَّ وجلَّ. سائلاً المولى أن يرحم صاحبها وجامعها ويرحمنا وأحبابنا وأهلينا والمسلمين بوافر رحمته . آمين .

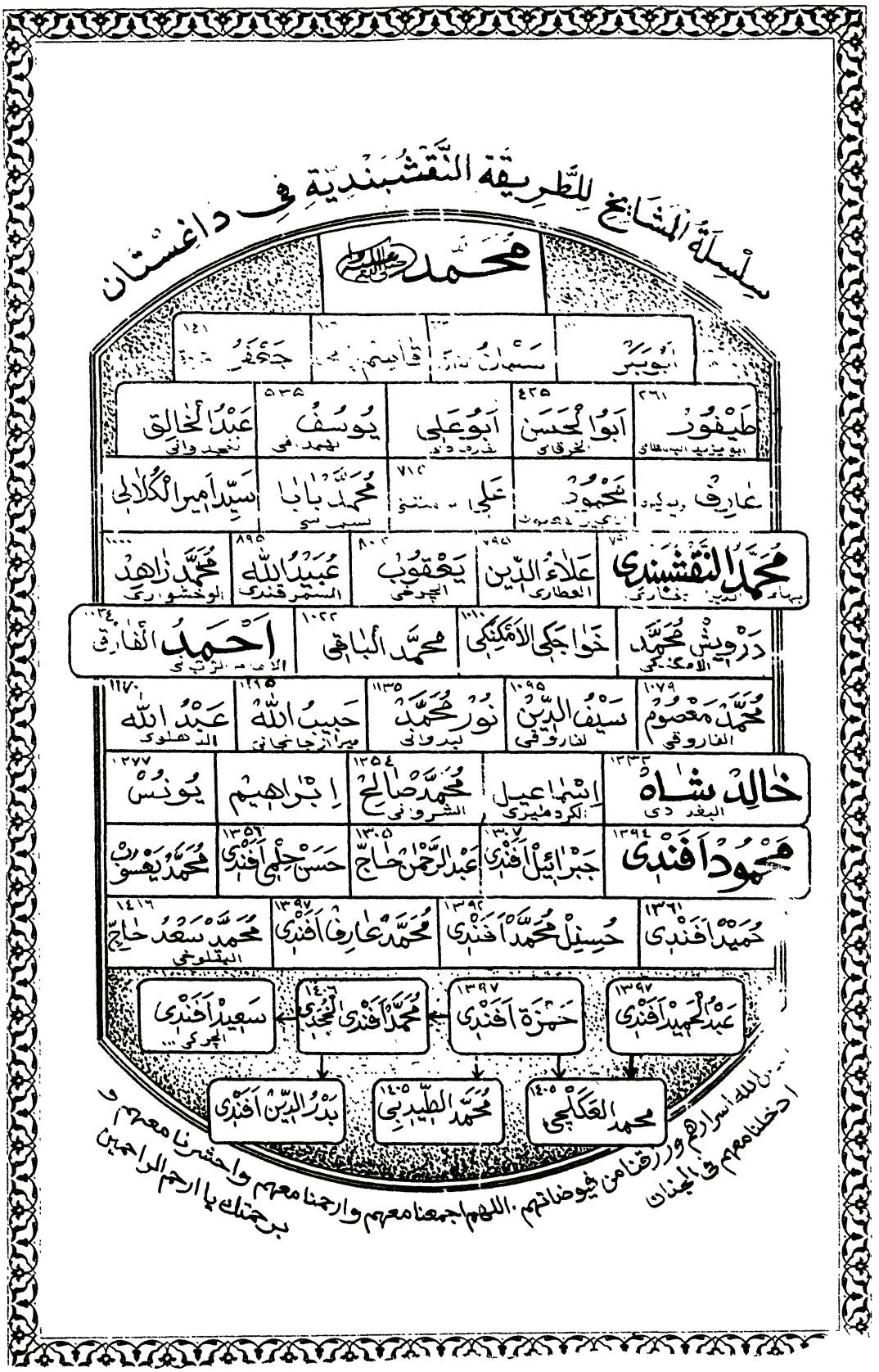

سلسلة المشايخ للطريقة النقشبندية في داغستان

محمد صلى الله عليه وسلم

أبو بكر	سلمان	قاسم ١٠٦	جعفر ١٤١

طيفور ٢٦١ أبو يزيد البسطامي	أبو الحسن ٤٢٥ الخرقاني	أبو علي	يوسف ٥٣٥ الهمداني	عبد الخالق

عارف	محمود	علي ٧١٢	محمد بابا	سيد أمير الكلالي

محمد النقشبندي ٧٩١ بهاء الدين البخاري	علاء الدين ٧٩٥ العطاري	يعقوب ٨٠٢ الچرخي	عبيد الله ٨٩٥ السمرقندي	محمد زاهد ١٠٠٠ الوخشواري

درويش محمد الامكنكي	خواجكي الامكنكي ١٠١٠	محمد الباقي ١٠٢٢	احمد الفاروقي ١٠٣٤ الإمام الرباني

محمد معصوم ١٠٧٩ الفاروقي	سيف الدين ١٠٩٥ الفاروقي	نور محمد ١١٣٥ البدواني	حبيب الله ١١٩٥ ميرزا جانجاناني	عبد الله ١٢٤٠ الدهلوي

خالد شاه ١٢٤٢ البغدادي	إسماعيل الكردميري	محمد صالح ١٢٥٤ الشرواني	إبراهيم	يونس ١٢٧٧

محمود أفندي ١٣٩٤	جبرائيل أفندي ١٣٠٧	عبد الرحمن حاج ١٣٠٥	حسن حلمي أفندي ١٣٥٦	محمد يعسوب

حميد أفندي ١٣٦١	حسيل محمد أفندي ١٣٩٢	محمد عارف أفندي ١٣٩٧	محمد سعد حاج ١٤١٦ البقلولي

عبد الحميد أفندي ١٣٩٧	حمزة أفندي ١٣٩٧	محمد أفندي النجدي ١٤٠٦	سعيد أفندي الجركي...

محمد العكلجي ١٤٠٥	محمد الطيبي ١٤٠٥	بدر الدين أفندي

قدس الله أسرارهم ورزقنا من فيوضاتهم. اللهم اجمعنا معهم وارحمنا معهم واحشرنا معهم وأدخلنا معهم في الجنان برحمتك يا ارحم الراحمين

ترجمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلاّ بالله

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمّد سيّد الأولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى ومصابيح الدنيا إلى يوم الدين .

أما بعد ؛ فلِكَوْن ذكر السادات سبباً لنزول الرحمة ، والمحبّة بهم وسيلة للوصول إلى الدرجة العلية ، والارتقاء إلى المراتب الجليّة الإلهيّة ، ووسيلة إلى الرسول سيد البرية ؛ أردت أن أبيّن آثار شيخنا وشيخ مشايخنا؛ قطب الإرشاد ، ومنبع الفيض والإمداد ، المشتهر في الأقطار والبلاد بإرشاد الخلق إلى سبيل الرشاد ، قطب الأولياء الرّبّاني ، وإمام الطريقة الصَّمداني ، صاحب التّأليفات المستطابات ، ومبيّن أسرار الطريقة العلويّات ، وحيد زمانه وفريد أوانه ، مجدّد الطريقة النقشبندية العليّة ، والشاذلية السنية المصطفوية ، والطريقة القادرية الجيلانية ، ومحقق أسرار الطرق الحقيقية المحمَّدية والشريعة الأحمدية ، وحافظ السنن المختارية الاصطفائية ، المتورِّع في جميع أموره الدينية والدنيوية ، المتخلّق بالأخلاق الحميدة الحسنة المختارية ، ذي الطبع السَّليم ، والمؤدّب الحليم ، حاوي المكارم والفضائل ، الحامي عن الغوائل والرذائل ، ذي الغيرة والمروة والصبر على البلاء ، والرضاء على القدر والقضاء ، كثير الخفاء فيما وهبه الله تعالى من الكشوفات الإلهية والفتوحات الرّبّانية ، المشمّر في طلب العلم على ساعد الجدّ والاجتهاد ، ولازَم الأخذ والتلقّي عن أبطال الرجال ذوي البصيرة والإمداد ، الفاني الباقي في الله ، العالم الفاضل البارع جامع الكمالات ، أبونا المعنوي :

حسن حلمي أفندي بن محمد بن حسين التحي الداغستاني النقشبندي الخالدي المحمودي المجددي والشاذلي الحسني والقادري الجيلي قدس سره وأفاض علينا من فيوضاته . آمين .

مولده ولد في قرية « قحِبْ » من قرى ناحية « هِبِكْ » سنة ألفٍ ومئتين وثمانين من هجرة خير البرية محمد المصطفى ﷺ .

نشأته وكان ابناً مسعوداً وطفلاً محموداً ، مباركاً ميموناً، ذا أحوال حميدة ، وشمائل جميلة ، ذا عقل وغَيْرة كاملة وفطنة مريحة ، يغبطه كلّ من رآه ، ويحبّه كلّ من لاقاه ، وكان ذا أدب بلا تأديب ولا مؤدِّب ، وإنّ أباه المذكور الحاج محمد ؛ مات وهو في المهد في سفر الحجّ في بلد جِدَّة وقت الإياب ، ودُفن فيها قرب قبر أمّنا وأمّ بني آدم الحوّاء رضي الله عنها ، وصار هو رحمه الله تعالى يتيماً في تربية الوالدة ، وأنها جزاها الله تعالى خيراً ربَّته بأكمل تربية ، وترعرع في نظرتها الحسنة العفيفة كما يربَّىٰ الأولاد أهل الثروة والمعيشة الواسعة ، وكانت دليله إلى كلّ خيرٍ ، ومانعة من كل ضرٍّ ، ومقدِّمَة لكل فضل ، وحافظة من كل ذل .

تلقيه العلوم فلما بلغ إلى سبع سنين ابتدأ لقراءة القرآن بنفسه بلا داعٍ ولا مهتد إليها ، فبعد تمام فرائضه وتصحيحه ابتدأ لطلب العلم ، واختار للتدريس العالمَ الورع المخلص والد صاحبته وخادمته القاضي «حسن بيك» ، وكان يقرأ الدرس معه صبيحة كل يوم، ويذهب إلى الفضاء راعياً لأنعامهم ، ويأخذ الكتاب معه ، ويعلّم الدرس إلى المساء ، ثم إذا رجع إلى البيت لا يخرج مع أقرانه إلى الأسواق ، ولا يضيّع أوقاته بالتعطيل مع الصبيان ، ويعزل عنهم بالفراق ، وكان يكتب الدرس الذي يقرأ له في الصباح ، وكان له خطٌّ جسيم حسن جداً ، وكتب كلّ ما قرأه من الكتب بخطه، فاجتهد لتحصيل العلوم حتى كان لا ينام إلا قليلاً ، ويسهر الليالي كثيراً ، وكان لا ينام تحت اللحاف واللفاف بل يضطجع في حالة يكون نصف جسده حافياً حاسراً من الأمتعة ، كي يسهل له القيام في السّحر .

وأنه أيضاً طلب العلم من العلماء الأجلّة المخلصين الورعين ، فصار ماهراً حاذقاً في جميع العلوم والفنون بحيث يعترف له فحول العلماء والعقلاء لِذكاء فهمه وعلمه وعقله ، وإن لاقاه أمير أو كافر خضعوا له وخشعوا ، وما بقي فيه مسلك من مسالك الكمالات إلاّ حازَه ، فإن سأله من مسائل العلوم ؛ وإن كان غريباً، كان يجيب بأحسن جواب ويقول بلسان حاله : هل من مزيد؟! هذا منه مع صغره وقبل تمام نشأته ، ومع تجاهله عن كثير من العلوم .

ثم بعد ذلك في وقت تمام النشأة والبلوغ دخل إلى الوظيفة البهلوانية[1] ، بسبب سرّ من أسرار الله تعالى قذفه جل وعلا إلى قلب والدته الزاهدة حين رأت بهلواناً حاذقاً بأن تريد أن يكون ابناً لها ، فأجاب الله تعالى لسرّ خاطرها ، ولِمَا ظنَّت في قلبها وفؤادها ووهب الله تعالى لها ابناً فائقاً منه ، وكان هو حاذقاً ماهراً في تلك الصناعة ؛ كَانَ ليس مثله في الوقت في تلك الوظيفة .

وكان يقرأ قبيل الصعود إلى الحبل سلسلة المشايخ وأسماء الأولياء، ويعظ الناس ويتذكّر لهم أهوال القيامة، ويمثل بالحبل المربوط للصراط ، ويقول : أيها الإخوان لا بد لنا من المرور مثل هذا الصراط يوم القيامة ، صعوداً وهبوطاً بلا ريب .

وقال واحد إذ سمع ما يقرؤه من أسماء المشايخ بأنه يكون من الأولياء المذكورين، وأنه كان يبكي وقت الصعود إلى الحبل بكاءً شديداً خوفاً من الصراط ، وكان هو أيضاً يبكي في الخلوات والجلوات في أكثر الأوقات ويُبكي الحاضرين معه في المجلس ، فإذا تخلّىٰ من الناس كان يبكي بكاء شديداً وأوّه خوفاً من الله بتضييع الأوقات على هذه الوظيفة الخسيسة ، وأنه لم يفعل ذلك إلا لحكمة إلهية ، وكان ما يفعله من تلك الصناعة اللهوية صوريّاً لا حقيقيّاً ، وحصل له بسبب تلك الوظيفة ذلٌّ وانكسارٌ ؛ وإن كانت حلالاً ، لما في « التحفة » بهذه العبارة : وإن كان في الوظيفة صورٌ محرمة ، لكن ذات أنواع اللعب الخطرة الكائنة من الذين تغلب سلامتهم عنها حلال ، وكذا في الرملي ، وإذا مات يموت شهيداً ؛ كذا في « حواشي عبد الحميد الشرواني » رحمه الله، وأن المعصية التي أورثت ذلاً وانكساراً خيرٌ من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً، وبه قال أئمة الصوفية ، وأن الذنب للعبد قد يكون خيراً من الطاعة التي توقعه في العجب، وبقاء العجب في الطاعة أكبر من كلِّ سيئة، ومن كمال حال الفقير الذي أراد الله أن يؤهله لتربية المريدين وإرشادهم وقوعه في بداية أمره في نية مخالفة ، وذلك ليصير عنده حلم على العصاة ، وصبر على تقويم عَوَجهم ، وأنّ من سبقت [له] العناية لا تضرُّه جناية ؛ كذا بيَّنه رحمه الله تعالى في تصنيفاته بعد أن صار هو على منصب الإرشاد بفضل الله تعالى .

---

(١) هي لعبة على الحبل للتفنُّه والتنزُّه؛ يجتلب بها الرزق.

ملازمة الاستقامة ثم بعد ذلك نزل عن تلك الوظيفة ، ولازم على العلم والعبادة في حال شبابه ، وكان آثار الجذبات الإلهية وأنوار الهداية ظاهرةً في جبينه، واشتغل أولاً بتحصيل العلوم الظاهرة عند أجلّة علماء عصره المخلصين الورعين من أهل السنة والجماعة ، وفاق في ملازمته على جميع أقرانه ، وكان يحفظ جميع متون الكتب، فإذا سئل شيئاً من أيّ علم يجيب ببيان الصحيفة والوجه والسطر ، وكان يعرب ويفسِّر مثل أعرب العرباء ، فمع كونه كذلك أعرف الأقران جميعَ فنون العلوم الظاهرة والباطنة ، كان يظهر فيه الجهالة وعدم العلم، ويتفحَّصُ عن العلماء الذين كانوا أدنى منه درجات من العلوم من أسئلة العوام .

طريق سلوكه ثم بدى له في أثناء ذلك داعيةُ الدخول في سلك سادات الصّوفية المسلسلة من سيّد الأمة ، وانبعث من باطنه شوقُ صحبة الأولياء الكرام والمشايخ العظام ؛ أهل الطريقة المحمدية ذوي الاحترام ، ففي يوم حين كان هو متعلّماً في قرية فلانية ذهب لدى واحد من مريدي الشيخ المرشد الحاج عبد الرحمان العسلي لتعليم الدرس فوجده يذكر الله بالذكر الخفي القلبيّ ، ويجرّ السبحة على قاعدة النقشبنديين، فوقع المكالمة بينهما في تلك المثابة ؛ وقال له : إن شئت أدلّك إلى من يرشدك ويهديك إلى هذه المرتبة ، فاشتاق بفضله تعالى إلى لقائه وقصد الترحل إلى حضرته ، ففي تلك الليلة استخار الله تعالى في حق ذهابه لديه ؛ فرأى في المنام أن المسجد الذي كان هو فيه مملوء من القماش الأبيض ، وكذا رأى في هذه الليلة كأنّ ماء صافية تسيل من موضع الوضوء إلى المسجد ، فأوّل الواقعة إلى صلاحية الدخول في تربية المرشد المذكور العسلي ، فبعد صبح ذلك اليوم خرج باكراً زائراً إلى جناب حضرة الخليفة من سادات الصوفية قطب الإرشاد ومنبع الإمداد الحاج عبد الرحمان العسلي ، ولاقاه بالفرح والبشارة ببسط الوجه ونشطة الكلام . وقال الشيخ قدس سره : لم أفرح في عمري أزيَدَ من هذا اليوم؛ لاطّلاعه على أحواله الباطنية والظاهرية ، إن الله يعطي الحكمة من يشاء ، ما أحسن وأعجب فراسة الشيخ ؛ قد علم من أول رؤيته قدره وجلالته واستفادته منه ، وعلّم الرابطة الشريفة والاستغفار والصّلاة على كيفية النقشبنديين ، وساعتئذٍ قد علم حياة قلبه ، فبعد أيّام قلائل ذهب ثانياً لدى حضرة الشيخ ، وتوجّه إليه ولقّنه الذكر القلبيّ ، وعَلِم حياة سائر اللطائف بحركة عجيبة وارتعاش أكيدة بذكر الله تعالى ، وكان المرشد العسوي أعلى الله درجته وأفاض علينا من فيوضاته يُربّيه أحسنَ تربية ويلاطفه ، ويحبه أشدّ حبّاً من سائر

المريدين ، ويقدمه ويشرفه على خواصّ أمنائه وأحبائه ، وربّاه إلى أن يصل إلى مراقبة السّرّ التي يكون مشرب السالك [فيها] موسويّ المشرب .

وأجازه بالإجازة المطلقة في الطريقة النقشبندية الصّدّيقية في مجمع العلماء والعارفين من مريديه ، وأظهر علوّ مقامه وكراماته في ذلك المجلس مع كونه على خجل ووجل خاشعاً من الله تعالى يكاد أن تذوب أعضائه من شدة الحياء من المرشد والمريدين ، وكان خائفاً كارهاً أمرَ الإرشاد والخلافة ، لكونه رأى فيه عدم الأهلية لذلك المنصب العظيم ، وكان يقول : فلولا أن أمر الشيخ من واجب الاقتداء لما أجبته لذلك ؛ ولا أقبله ، بيد أنه لم يصحَّ ردُّ ما التزمه الشيخ، فقبله على استحياء شديد ، فأمضى من بعده زمناً مديداً نحو سبع سنين بإخفاء هذا التصدّر عن الناس ، وتزهَّد في ذلك الزمن ولم يطلب من الدنيا إلا قدراً يسيراً بحيث يسدُّ الرمق ، ولم يلبس إلاّ خرقاً، ونهى النفس عن الهوى ، وانعزل عن الناس ولازم البيت، وكان هو فقيراً ذا عيال ، وعَلِمَ الشيخ حقيقته ودعاه لديه فقال : إنّي جعلتُكَ خليفتي وخليفة الرّسول، وسلطان السّلاطين وأمير الأمراء، وأعطيتك الدنيا والآخرة ، فأمر بالإرشاد وأكّد الأمر به ، واستعفى كرّات ومرّاتٍ وكان يرده ؛ وقال : يا أستاذي ، لو رددتَ عنّي هذا الأمر العظيم لكنت في كَهفٍ خالٍ عن الناس مع العيال بترك العقار والمنقول!! وأكّد الأمر ثانياً بحيث لا يمكن له بدّ لردّه، وامتثل أمره ، وقَبِلَ ذلك المنصب العظيم ، وأمره الشيخ بخلع تلك الملابس الخريقة ، وبلبس اللباس الحسنة الجديدة ، وبإرشاد الخلق إلى سبيل الحق ؛ وقال : أنت خليفتي ، فيدُك يدي وقبولك قبولي . وقال : يا أستاذي لست أهلاً لهذا الأمر الرفيع . ثم أغلظ القول ؛ وقال : افعل ما تُؤمر . ثم قَبِلَ قولَه سمعاً وطاعة ، فبعد ذلك ابتدأ لإرشاد الخلق ، وقعد على سجّادة الخلافة ؛ مستعيناً بالله العظيم ، ومستفيضاً من الرسول الكريم ، ومتوسّلاً بالسادات الكرام؛ أهل الطريقة ذوي الاحترام .

اشتهار امره واشتهر أمره بين العباد، وارتحل إليه كلُّ من أراد السّلوك إلى سبيل الحقّ حتى من أقصى البلاد ، فبعد ذلك قد كَثُر المريدون الحاضرون ، وسعى إليه الطالبون من كلِّ جانب، وجاؤوا من القرى البعيدة والبلاد الشاسعة حتى أن صار الحاضرون في كلِّ يوم جمّاً غفيراً ، واجتهد لهداية مَن لاقاه من الطالبين السّالكين إلى تربيته لله تعالى ، ولأجل رسوله ﷺ؛ امتثالاً على قوله تعالى ﴿وإن استنصروكم

في الدين فعليكم النصر﴾ ، ولقوله ﷺ « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها » كذا في « الإحياء » في صحيفة (٩) ، وقال عليه السلام : « الدالُّ على الخير كفاعله » ، فبعد ترصده على هذا المنصب العظيم ذهب الشيخ الحاج عبد الرحمان العسوي قدس سره إلى الحج وفوّض أمر الإرشاد إليه ، ومات هو رحمه الله في جُدَّةَ إياباً بعد تمام الحج ، ودفن فيها عند قبر حواء رضي الله تعالى عنها وأفاض الله علينا من فيضه العميم ، وكان هذا السفر منه ثانياً إلى الحج .

لحوقه بالشيخ شعيب الباكني ثم بعد نقله من هذه الفانية إلى جوار رب البرية ذهب الشيخ حسن أفندي لدى الشيخ الشهير الحافظ الحاج شعيب أفندي الباكني قدس سره، وقَبِله بالتحية والإكرام ، وربّاه بأحسن تربية وأوصله إلى المشرب المحمديّ ، وأذن له بالإذن الصحيح، وأجازه بالإجازة المطلقة كما أجازه أشياخُهُ ، وكتب له صكّ الإجازة في الطريقة النقشبندية العلية ، وانتقل الشيخ الباكني إلى جوار ربّ العزة. قدس الله سره العزيز، ونور الله ضريحه، وأفاض علينا من فيوضاته .

لحوقه بالنزبكري ثم ذهب لدى حضرة القطب المستور مير سيف الله النقشبندي الشاذلي القادري الأويسيّ الحسينيّ النزبكري الغازي غموقي قدس سره العزيز ، وقبله قبولاً حسناً وتفطّم منه بالرضاع المعنوي ، وصبَّ ذلك القطب الأعظم والشيخ الأكبر ما في صدره إلى صدر الشيخ حسن حلمي أفندي ؛ وقال : صَبَبْتُ ما في صدري إلى صدرك .. وأجاز له في الطريقة الصّديقية العلية، والشاذلية السنية، والقادرية الجيلية الجلية، وفي جميع العلوم الظاهرة والباطنة ، والأحزاب المأثورة من أئمّة الصوفية ، وفي « صحيح البخاري » و« مشكاة المصابيح »، وفي « الحزب الأعظم والورد الأفخم »، وفي « دلائل الخيرات » والطريق العالية ، و« البردة الشريفة »، والأحزاب المنسوبة إلى العارف الشاذلي، وحزب الإمام النووي و« حزب الدور الأعلى » للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، وسائر الفنون النقلية والعقلية، وكتب الأحاديث الصحيحة المسلسلة ، وفي الطريقة العالية من طريق الحسن ؛ كما هو مذكور في الثبت ، وفي سائر العلوم والأحاديث؛ حتى لكتابة التمائم والأسباب فيما لا يحصى عدُّه ، وأوصله إلى الدرجة العلية والمراقبات الأقربية ، وصار هو كائناً باثناً، عرشياً فرشيّاً، فانٍ باقٍ في الله .

وفاة النزبكري ثم بعد ذلك انتقل الشيخ الأكبر والقطب الأعظم سيف الله قدس سره من هذه الفانية إلى الدار الأبدية الباقية ، ودفن في غزانش الأعلى، نوّر الله مرقده وأفاض

علينا من فيوضاته. آمين . وكان قدس سره يقول قبيل خروج روحه هَيْ اَمَانْ حَسَنْ ما رأيتك! جمعنا الله معك في دار السلام .

ثم تفرَّد في ديار داغستان في المشيخة الصادقة الصديقية ، وتوحَّد في الطريقة الشاذلية الحسنية العلية ، ولكن لم يُظهر الطريقة القادرية الجيلية لعدم وصول صكّ الإجازة من الشيخ المذكور المرحوم المغفور له ؛ وإن كان مجازاً فيها بالإجازة الصّحيحة المطلقة ، وذلك لشدَّة إنصافه وصفائه في الطريقة النبوية ، وإن الوثيقة وصك الإجازة ولبس الخرقة مما جرت به عادات سادات الصوفية المسلسلة من صاحب الشريعة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم .

وصار هو مجدّداً للقرن الرابع عشر ، وشهد له بذلكِ أشياخه المذكورون قبلُ ، وازدحم المريدون السالكون في الطريقة النقشبندية الخالصة من كدورات جهلة الصوفية ، وفي الطريقة السنية الشاذلية العلية في زاوية داره وعتبة بابه ، وأقرَّ له العلماء والعقلاء والصّلحاء ، وانتشر صيته في الأقطار والبلاد ، وتواترت آثاره وأخباره بين العباد ، وجاء لديه من أراد الوصول إلى حضرة الخالق من بلاد الشرق والغرب ، ومن أبعد الطريق ، بل من كلّ فجّ عميق ، ولم يكن في داغستان من يعلم علم التصوف والسلوك .

بداية تصنيفه فبعد ترصّده على هذا المنصب العظيم قد طلع أنوار العلوم الباطنة اللدنية من صدره ، وأشرق شمس الهداية من جبينه ، وصنَّف كتباً عديدة مستطابة بالعرب والعجم ، وبها حصَّل للجهلاء علوماً ، وللعلماء فهوماً ، وشاعت العلوم الباطنية وآداب السلوك في جميع أقطار داغستان؛ كما شاع ضوء الشمس في بسط الأرضين والسماوات والآفاق والبلدان، وتوجه إليه من النواحي الحوالية الخواصُّ والعوام وفداً وفداً ، وأخذوا منه العهود فرداً فرداً ، وأرشد من حضر لديه بالنية الخالصة والاعتقاد الكامل صغيراً وكبيراً ، ذكراً وأنثى ، جاهلاً وعالماً ؛ فصاروا من الذاكرين الله والذاكرات كثيراً ؛ منهم عرشيين فرشيين ، واصلين مواصلين ، لا يشغلهم الخلق عن الحق ، والحق عن الخلق .

مريدوه وكان له من المريدين والمرادين مَن وصل إلى الولاية الصغرى والولاية الكبرى ، وإلى المشرب المحمدي ؛ إذا رأيتهم عجبتهم بالعبادة الخالصة السرية الصافية عن العجب والرّياء ، وأقرَّ له كلّ معاند وملحد ، وكل عالم حاذق ، وسَعَوا إليه بعد أن كانوا معاندين ومنكرين ، فكم [من] عالم ذكي وفاهم لبيب كانوا يرسلون

الرسائل إليه بسببٍ طريقته وذم أخلاقه ؛ وإذا رأوه وجاؤوا لديه أقروا له ودخلوا في دائرة تربيته!! وأخذوا منه العهود ، ولازموا عليها ، ووصلوا إلى المراتب العلية ، وذلك من شدَّة تصرفه وقوة سرّه وسريرته .

من أخلاقه وكان يتكلم مع من جاء لديه بالمداراة، ويحسن أخلاقه بحيث يوافق حاله ومآله ، وإنه كان لا يقبل إلا ما خفي وسُتِر ، ولا يأذن لإظهار الكشوفات والخوارق ، ويقول : الكشف حيض الرجال ومنصب الشيطان . وكان لا يُظهر ما ظهر له من الكشوفات الإلهية ؛ وإن كان هو أسبق الأولياء المكاشفين .

وكان وَرِعاً لم يُرَ منه ما يخالف الشريعة ؛ ولو أدنى شيء . وكان ذا أخلاق حميدة ومناقب سديدة ، وطبع سليم وحياء حليم ، بارعاً حاذقاً في جميع العلوم ؛ نثراً ونظماً ، عرباً وعجماً . وكان بسيط الوجه نشيط النطق ، يحبّه كلُّ من رآه ، وقوراً حليماً ، سخياً جواداً ، مطابقاً مسماه باسمه ، معرضاً عن حب الدنيا وحب الجاه .

وكان محسناً لرياضة نفسه من قلة الأكل والنوم والقول ، وكثرة الصلاة والصدقة والصوم ، ومتصفاً بمحاسن الأخلاق ، وكان صابراً شاكراً ؛ متوكلاً قانعاً ، متواضعاً صادقاً ، ذا وفاء ووقار .

وكان رؤوفاً عطوفاً على الفقراء والمساكين والأيتام ، ذا مروّة وغَيْرة ، جميل الصوت مدوَّر الوجه ، أبيض اللون مائلاً إلى السواد ، طويل اللحية كثيف الشعر قد ابيضَّ ، نحيف الجسم معتدل القامة .

وكان تقياً نقياً ، فقيراً صابراً حُسَينياً ، وكان ذا عيال وأولاد ، لا يطلب من الدنيا إلا قدراً يسيراً حلالاً ، لا يقبل هدية إلا حقيراً مثل الكعك والرغيف .

وكان شديد المنة ؛ كثير العفة ، وكان يزجر الأولاد والأحباب عن قبول الهدايا والإحسانات ، ويقول لهم : إني أريد أن أكون كالتيس ؛ ولا أريد أن أكون كالمعز . الإنسان عُبيد الإحسان .

وكان عادته إذا أحسن إليه المحسن بقدر عَبَّاس واحد يكافئه بعشرة عبابيس بل أزيد منه ، وكان يقول على المريدين : هلاَّ تقسمون ما أهديتم إلينا للصّدقة للفقراء والمساكين!! ولا يترك عنده ولو قدراً يسيراً من الهدية ، بل يسلم ما جاء واحدٌ لآخر .

وكان قدس سره ساتراً لأحواله بحيث لا يقدر أحد أن يطلع على أحواله وأسراره ، وكان أكثر كلامه بالإشارة ، وكان يخبر بالمشافهة مع الإشارة الغريبة ما سيقع بعد سنين ، وقد وقع الكل كما أشار . ذَكَرَ ذلك كثير من الناس إذ رأوا ما قاله عياناً .

تصانيفه وناهيك دليلاً لكماله مُصَنّفاته الحسنات المباركات مثل : « تنبيه السالكين » عرباً وعجماً منظوماً ، و« تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » ، و« خلاصة الآداب » و« البروج المشيدة » و« السفر الأسنى في الرابطة الحسنى » ، و« سراج السعادات في سير السادات » ، و« الدرة البيضاء في رد البدع والأهواء » و« جهد المقل » ، و« مجموعة فتاوى أهل التحقيق في مسألة جمع الثلاث من التطليق » ، و« فيض الرحمان في كلام عبد الرحمان » وغيرها .

فبسبب تلكم المصنفات النفيسات اشتهرت طريقته في البلاد ، وتواترت أخباره بالإرشاد ، ونوّر العالم بيُمْن توجُّهاته العلية وأحواله السنيّة ، وزالت ظلمات الجهل والبدع بظهور تأليفاته المستطابات بعدما غشيت الأقطار والبلاد بالأهواء والمخترعات في الطرق المنيرات المصطفويات ؛ بزخارف المعاندين المنكرين المبتدعين المتشيّخين المارقين ، وببركة علومه وآثار أنوار معارفه قلّت البدعات وانهدمت المبطلات .

من توفيق الله له وأنه رحمه الله تعالى شيّد مصنّفاته بالمآخذ والنقول من الكتب المعتمدة المأثورة من أئمة الفقهاء والصوفية ، لكن لم يشر عليهم بالمطالعة على الكتب ، بل بما فتح الله له من العلم اللّدني ، وأنه صنّف كتابه « البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة » مدة ثلاثة عشر يوماً بالتصنيف والتحرير ؛ مع تربية المريدين الواردين كل يوم أزيد من أربعين رجلاً ، وذلك بما فتح الله له وبتوفيقه .

هيبته وسمته وكان ذا هيبة عظيمة ، كثير البركة في شيمه ؛ لا يشبع أحد من كلامه وألفاظه ومعارفه القدسيّة ومن الجلوس معه ، كما لا يشبع أحد من مجلس رسول الله ﷺ من أقواله وأفعاله وسنته .

وكان قدس سرّه يحسن الظنّ ويليّن الكلام عند كل أحد ، ولم يُصدِر منه البتّة كلمةً ؛ ولا كلاماً يسوء به ظنّ أحد ما ؛ في أيّ حال

وكان يقول : إن أستاذي المرشد الحاج عبد الرّحمان العسوي قال لي قبيل

إعطاء الإجازة : يا ولدي ؛ لا تقل على أحد بما ينكسر به القلب ؛ وإن وجدت الزّاني والزّانية بالمواقعة؛ إلاّ بالسّؤال من الله تعالى بمنعهما من الفاحشة المحرمة . وأنه رأى امرأة في أيكته تأخذ وتسرق الخشبة اليابسة ؛ فضرب الفأس على الشجر مرّاتٍ ، وتنحنح ليُسمع المرأة وليتركها تأخذ الحطب ، ولم يذهب لديها ؛ ولم يتكلّم لئلا تستحيي منه .

وكذا من شيمه وطبيعته أن يقول ـ على أحد الّذي يعيب الناسُ عليه بارتكابه على الذنوب والمنكرات ـ : أحبّك حباً شديداً ، لأجل كوني سمعت الناس يقولون بكونك تمنع وتحفظ من المحرمات كذا وكذا ، وإنّي أردت كون الناس يقولون مثل ذلك في حقّك ، ويقول على مريده الصّادق عند الذي يعيب عليه الناس : لِمَ تفعل كذا وكذا ؛ تنبيهاً له وإيقاظاً من الغفلة .

وأخرى : أنَّ جاره سرق دجاجته وعلم سرقته على جاره الآخر ؛ فقال على ابنه: إنه سرق دجاجتكم ، فأخبر الابن على أبيه ، فهدَّد له وخوَّفه ، وقال : لا تعلِّم على السارق عَلِّم سرقتها علينا وإيّاك وإيّاك أن تعلّمه .

وأيضاً : أخبر على رجل سارق من قرية أخرى بأنه سرق ثوري كذا في زمن كذا ، وبيّن صفته!! فقال ذلك الرّجل : إنّ ذلك الثور سرقناه فنغرم لك ، فاصبر إلى أن أرجع إلى القرية، فقال قدس سره : إنّ الثور الذي سرقتم لعلّه لم يكن ثوري!! وقال السّارق : إني أعلم يقيناً كونه لكم .

وأخرى : كان الناس يعيبون عليه بإقامة الصلاة خلف الجاهل والفاسق!؟ وقال : إني أقيم الصلاة خلفه لئلا يسوءَ ظنه ؛ وإن وقع لي التردُّد والإشكال ، فإن شك صحتها وظنّ إبطالها ؛ فهل لا يحتمل أدائها بعد الفراغ من صلاته بحيث لا يعلمه!! .

وأخرى : قال له واحدٌ : فإنّ مريديك يفعلون كذا وكذا من المحرمات والمحظورات ، فلِمَ لا تقول عليهم بتركها؟! فقال : أنا الداعي إلى الله تعالى ؛ فإن قلتُ أمثال ذلك يفرُّون منّي ، فحينئذ أكون من الذين يمنعون الناس من الله عز وجل ، فذاك مما لا يجوز!! فإني قلتُ على واحدٍ منهم شيئاً يسيراً فلم يرجع إلينا بعده ، فلا يمكن لي إلا السؤال من الله تعالى ، ولم أقل على أحد إلى الآن : لِمَ فعلت كذا وكذا!! .